دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 44، العدد 4، ملحق 3، 2017

الدّيانة التّاويّة وعقيدتها في الألوهيّة من خلال كتابها المقدّس وموقف الإسلام منها دراسة ونقد

*إبراهيم "محمّد خالد" برقان**

ملخص

تهدف هذه الدّراسة إلى الوقوف على الدّيانة التّاويّة وعقيدتها في الألوهيّة من خلال كتابها المقدّس وموقف الإسلام منها، وذلك من خلال التّعريف بكلّ من (لاوتسيه) مؤسّس التّاويّة، وكتابها المقدّس" الطّريق إلى الفضيلة".

وتتناول الدّراسة نشأة التّاويّة في الصّين، وكيفيّة انتشارها بين الصّينيين، وبيان عقيدة التّاويين في الذّات الإلهيّة (التّاو)، وموقف الإسلام منها.

وتمّ التوصّل من خلال الدّراسة إلى جملة من النتائج، أهمّها: أنّ التّاويّة مخالفة باعتقادها في وحدة الخالق والمخلوق للعقيدة الإسلاميّة؛ الأمر الذي ينبني عليه ترجيح القول بأنّها ليست ديانة سماويّة.

الكلمات الدالة: الدّين، التّاويّة، الألوهيّة.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد سيّد المرسلين، وعلى آله وصحبه الطّاهرين، ومَنْ سار على هديه إلى يوم الدّين، وبعد؛

فقد حظي موضوع دراسة الأديان قديمًا وحاضرًا باهتمام العديد من الباحثين والعلماء والمفكّرين؛ بهدف الوقوف على طبيعة هذه الأديان تأريخًا، ونشأة، وعقيدة، وتشريعًا، وكلّ ما يتعلّق بها من قضايا أخرى، حيث نجد القرآن الكريم قد ذكر العديد من الأديان كاليهوديّة، والنّصرانيّة، والصّابئة، والمجوس، والمشركين، ومنكري البعث.

وكان للعلماء المسلمين قصب السّبق في دراسة مقارنة الأديان دراسة علميّة منهجيّة، سواء أكان الذين صنّف منهم في الأديان السّماويّة، كالباقلانيّ، والعامريّ، والغزاليّ، وابن تيمية، وابن القيّم، وغيرهم، أم مَن تناول منهم في مدوّاناتهم الأديان الوضعيّة، كابن حزم، والشّهرستانيّ، والبيرونيّ، وغيرهم.

وتظهر مشكلة البحث من خلال محاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

أولاً: مَن مؤسّس التّاويّة؟

ثانيًا: كيف نشأت التّاويّة؟

ثالثًا: ما كتابها المقدّس؟

رابعًا: ما عقيدتها في التّاو (الإله)؟

خامسًا: ما موقف الإسلام من التّاويّة؟

وتكمن أسباب اختيار الموضوع في أنّ التّاويّة تُعدّ من أقدم الأديان في الصّين، وهي ثاني أكبر خمسة أديان في الصّين بعد البوذيّة، ويليهما الإسلام والكاثوليكيّة والبروتستانيّة، كما أنّ التّاويّة هي العقيدة الوحيدة ذات المنشأ الصّينيّ من بين الأديان الخمسة الرّئيسة في الصّين، حيث يبلغ عدد معتنقي هذه الديانة أكثر من مائة مليون نسمة[1].

وتبرز أهمية الموضوع من خلال الإشارة إلى أنّ معظم الدّراسات والأبحاث في مقارنة الأديان تركّز على الدّيانة اليهوديّة والدّيانة المسيحيّة، في حين أنّنا نجد افتقار الدّيانات الوضعيّة لمثل هذا الاهتمام بالبحث، ولمّا كانت التّاويّة تشتمل على جملة من العقائد، وخاصة المتعلّق منها بذات الله تعالى، وصفاته، ووحدانيّته، فقد ارتأيت في هذا الإطار تحديدًا أن أخصّ بالدّراسة" الدّيانة التّاويّة وعقيدتها في الألوهيّة من خلال كتابها المقدّس وموقف الإسلام منها: دراسة ونقد"، لذا حاولت بذل الجهد في توضيح الموقف العقديّ من هذه المسألة، وبالأخصّ مسألة الألوهيّة، وبيان موقف الإسلام من ذلك.

وأمّا منهج البحث الذي سيرتُ عليه، فقد اتبعت فيه المناهج الآتية:

* كلية الشريعة، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2015/12/17، وتاريخ قبوله 2016/6/2.

© 2017 عمادة البحث العلمي وضمان الجودة/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

أولاً: المنهج التّاريخيّ: للاعتماد عليه في بيان الجانب التّاريخيّ المتعلّق بالتّعريف بلاوتسيه، ونشأة التّاويّة.

ثانيًا: المنهج الوصفيّ: من خلال عرض حقيقة التّاو عند التّاويين.

ثالثًا: المنهج التّحليليّ القائم على تحليل عقيدة التّاويين في التّاو (الإله).

رابعًا: المنهجان المقارن والنّقديّ: وذلك بمقارنة مسألة الألوهيّة بين الإسلام والتّاويّة، ونقدها في ضوء عقيدة الإسلام.

وأمّا بخصوص الدّراسات السّابقة، فإنّه لئن تناول الباحثون دراسة الأديان السّماويّة والوضعيّة، وخاصة التّاويّة، غير أنّ مسألة الألوهيّة، -حسب اطلاع الباحث-، لم يجد من أفردها ببحث مستقل يتضمن عرضها وتفصيلها من خلال كتابها المقدّس "الطّريق إلى الفضيلة".

وللإحاطة بمختلف جوانب الموضوع اقتضت منهجيّتي أن أقسّمه إلى خمسة مطالب، وخاتمة على النّحو الآتي:

المطلب الأوّل: التّعريف بمؤسّس التّاويّة.

المطلب الثاني: نشأة التّاويّة وانتشارها.

المطلب الثالث: كتابها المقدّس" الطّريق إلى الفضيلة".

المطلب الرّابع: عقيدتها في التّاو (الإله).

المطلب الخامس: موقف الإسلام من التّاو.

الخاتمة.

المطلب الأوّل: التّعريف بمؤسّس التّاويّة:

تنتسب التّاويّة التّي يُطلق عليها أيضًا الطّاويّة، وهي المستعمل الرّائج في تعريب تسمية هذه الدّيانة، أو الدّاوسيّة، أو الدّاويّة، أو التّاوزميّة إلى مؤسّسها الفيلسوف الصّينيّ "LaoTzo" لاوتسيه، أو لاوتسو، أو لاوتزو، ويعني اسمه السّيد الكبير[2]، أو الفيلسوف القديم[3]، واسمه الحقيقيّ "لي" أي الخوخ؛ لأنّه ولد تحت شجرة خوخ[4]، وهو الأبّ الرّوحيّ للتّاويّة[5].

ونلحظ أنّ المصادر لم تذكر عن حياة لاوتسيه إلا الشيء اليسير، فقد عاش في القرن السّادس قبل الميلاد، وتقريبًا بالفترة ما بين (604- 517 ق. م) [6]، إلا أنّ ميغلوفسكي قد أشار إلى أنّه ولد في حوالي سنة 604 ق.م في قرية كيكو زين التّابعة لمملكة سو الواقعة على مشارف مدينة بكين الآن[7].

وكذلك كان لاوتسيه يعمل في بداية شبابه أمينًا أو ناظرًا للمحفوظات في المكتبة الإمبراطوريّة بمدينة "لو يانج"؛ الأمر الذي أتاح له الفرصة للدّراسة والبحث، وعندما شرع في التعبير عن آرائه الفلسفيّة والدّينيّة نال إعجاب الكثيرين، إلا أنّه بعد خدمة طويلة وبسبب تردّي الأحوال السّياسيّة والاجتماعيّة قرّر ترك وظيفته في أمانة المكتبة ليعيش في الرّيف بمعزل عن النّاس[8].

وفرّغ نفسه في معتزله للتأمّل والتّفكير، حيث أتاح ذلك الاعتزال له أن يضع أسس التّاويّة، ليقرّر بعدها مغادرة الصّين إلى الهند[9].

وينقل المؤرّخ ميغولفسكيّ عن لاوتسيه أنّه ذكر في إطار اعتزاله النّاس قوله: "عندما تتكلّل الأعمال بنجاح باهر، ويغدو اكتساب اسم طيّب حقيقة واقعة، فإنّ الاعتزال يغدو أفضل تصرّف، وهذا هو الدّين السّماويّ بعينه"[10].

ومن الجدير بالذكر أنّ لاوتسيه عاصر الفيلسوف كونفوشيوس الذي عاش بالفترة ما بين (551- 478 ق.م)[11]، حيث كان لاوتسيه يكبره بثلاث وخمسين سنة.

وقد أكّدت بعض المصادر أنّ لقاء جمع بينهما في قاعة المكتبة، عندما دخلها كونفوشيوس،" وأرسل مذكرة إلى لاوتسيه يقول له فيها: إنّه يتمنى أن يلقاه، وعندما مضى الرّسول بالمذكرة جلس الشّاب [كونفوشيوس] على حصير القاعة، وبدأ يقرأ إحدى المخطوطات التي كتبت على الخيزران، ولم ينتبه إلا عندما سمع وقع أقدام تقترب منه، ودخل شيخ أصلع الرّأس طويل اللحية، لم يكد يتقدّم منه حتى نهض كونفوشيوس ليعرب عن احترامه، وتقديره للحكيم الشّيخ"[12].

وبعد أن شاهده لاوتسيه يقرأ كتاب "التغيّرات" الذي درسه كلّ الحكماء القدامى، وتعلّموا منه الإنسانيّة والعدالة[13]، دار بينهما الحوار الذي بدأه لاوتسيه بسؤال كونفوشيوس:

"لماذا تدرس كثيرًا تلك الأشياء التي درست في الأيام الخالية، وما هي الأهميّة أو الفائدة التي تجنيها من وراء ذلك؟

وأجاب كونفوشيوس: اعتقد أنّ النّاس ولدوا أخيارًا، وأنّ التّعليم والمعرفة يبقيانهم أخيارًا، ولكن قبل أن نحصل على المعرفة الجديدة يجب أولاً أن نقف على المعرفة القديمة، وهذا هو السبب في أنّي أرى وجوب دراسة حكمة الآباء الأولين بعناية واهتمام.

فأغضب ذلك الردّ لاوتسيه، وقال للفتى: إنّ النّاس الذين تتحدّث عنهم قد استحالوا هم وعظامهم إلى تراب، ولم تبق سوى كلماتهم، وإذا ما حانت ساعة الرّجل العظيم قام من فوره وتولّى القيادة، أمّا قبل أن تحين هذه السّاعة، فإنّ العقبات تقام في سبيل كلّ من يحاوله، ولقد سمعت أنّ التّاجر الموفّق يحرص على إخفاء ثروته، ويعمل عمل من لا يملك شيئًا على الإطلاق، دعك من غرورك ومن برامجك الكبرى لتعليم العدالة للعالم، فكلّ ذلك لن يجديك فتيلاً، وهذا هو ما أحببت أن أقوله لك"[14].

ونلحظ من الحوار السابق أنّ لاوتسيه نصح كونفوشيوس

إلى عدم قراءة كتب الأقدمين، بما تضمّنته من إنسانيّة وعدالة، ليس لمعارضته هاتين الكلمتين؛ وإنّما لأنّه كان يرى أنّ الواقع الذي يعيشه استشرى فيه فساد حكّام الولاية آنذاك؛ وتعاملهم المستبد مع النّاس، وهذا كلّه يتنافى مع معاني الإنسانيّة والعدالة، وأنّه لا فائدة من دراسة ذلك دون الانتفاع بمعانيهما عملاً وتطبيقًا.

وبذلك وجّه لاوتسيه كونفوشيوس إلى عدم الاهتمام بوضع البرامج التي تُعنى بتعليم العدالة؛ لأنّ هذه العدالة التي يدّعيها كونفوشيوس إنّما هي مثاليّة لا يمكن ممارستها في ذلك الواقع.

فقد كان لاوتسيه يدعو إلى "القناعة، والزهد، والتّسامح المطلق، ومقابلة السّيئة بالحسنة، على عكس كونفوشيوس الذي كان يدعو إلى طريق لا إفراط فيه ولا تفريط، ومقابلة السّيئة بسيئة...، فيرى لاوتسيه أنّ الخير ليس في محاولة إصلاح المجتمع الفاسد بالعمل، والنّشاط، والدّعوة، بل الخير كلّ الخير في الزّهد، والاعتزال، واللامبالاة"[15].

ولمّا كان كونفوشيوس يهتم بإصلاح مجتمعه، من خلال تحقيق العدالة بين أفراده، خلافًا للاوتسيه ردّ عليه كونفوشيوس قائلاً: "إذا كان واجب كلّ فرد من أفراد الأمّة أن يعتزل في كهف من الكهوف، فمن الذي يبقى في المدن يعمّرها؟ وفي الأرض يفلحها ويزرعها؟ وفي الصّنائع يمهر فيها؟ ومَن الذي يعمل ليبقى الكون عامرًا ببني الإنسان؟ وإذا كان الاعتزال مقصورًا على الحكماء والفضلاء فمَن الذي يربّي الإنسان ويؤدّبه؟ أم أنّ النّاس يُتركون حائرين بلا هادي ولا مرشد؟[16].

وهكذا، فقد كان تركيز لاوتسيه في خطابه على الرّوح أكثر، بينما أولى كونفوشيوس عناية أكبر لسلوك البشر في حياتهم اليوميّة من الرّوح[17].

وبالرّغم من اتّفاقهما على مبدأي الإنسانيّة والعدالة، إلاّ أنّهما اختلفا بأساليبهما في العمل، فقد كان كونفوشيوس يسعى إلى تجديد المجتمع من خلال الحكّام العظام، الذين يجب أن يكون سلوكهم على غرار النّماذج العظيمة لحكّام الماضي، ويمثّلون كلّ الفضائل السّامية التي يمكن أن يتحلّى بها الإنسان، في حين أنّ لاوتسيه كان يرى أنّ العودة إلى الأصل في الرّاحة والسّكينة لا يتحقّق إلا بالرّجوع إلى القانون الأبديّ، والقوّة التي تقف وراء كلّ ظواهر الطبيعة[18].

وبعد أن عاد كونفوشيوس إلى تلامذته، وسألوه عن لقائه أجابهم قائلاً: "أعلم كيف تطير الطيور، وكيف تسبح الأسماك، وكيف تركض الحيوانات، لكن الذي يركض قد يقع في الفخ، والذي يسبح قد يصاد بالصّنارة، والذي يطير قد يصيبه السّهم، لكن التّنين لا أعرف كيف يصعد في الرّيح عبر السّحاب ويصل السّماء، اليوم التقيت بلاوتسيه، لا أستطيع أن أشبهه سوى بتنين"[19].

ويبدو لنا من إجابة كونفوشيوس تقديره للاوتسيه من ناحية، وعدم فهمه له من ناحية أخرى،" كما لم يفهم التّنين، وكيف يصعد إلى السّماء، وإن كانت فلسفته قد تركت في نفسه أثرًا مؤلمًا بالغ الحنق"[20].

المطلب الثاني: نشأة التّاويّة وانتشارها

يجد المتتبّع للتّاويّة تأثيرًا واضحًا في الفكر الصينيّ لأكثر من ألفي سنة، ويُعدّ (شوانغ تسو) من أبرز رجال التّاويّة بعد لاوتسيه، حيث ظهر في القرنين الرّابع والثالث قبل الميلاد، وزعم أنّ لاوتسيه كان معلّمًا سماويًا، كما شرح كتاب لاوتسيه مضيفًا إليه شيئًا من فلسفته[21].

وينبغي التّنبيه هنا إلى أنّ إطلاق (شوانغ تسو) لقب المعلّم السّماويّ على لاوتسيه إنّما هو كناية عن عمق معرفته، ونظرته التّأمليّة في قضايا الوجود، ولا سيّما أنّه قد تمّت الإشارة سابقًا عند التّعريف بلاوتسيه أنّه قد اعتزل النّاس، ليتفرّغ للتأمّل والتّفكير؛ الأمر الذي مكّنه من وضع أسس التّاويّة.

ويشير المؤرّخ الصينيّ (سانغ جي) إلى أنّ الغالبيّة يعتقدون أنّ التّاويّة تشكّلت في القرن الثاني الميلاديّ من خلال "تاويّة وودومي" التي أسّسها تشانغ داو لينغ، و"تاويّة تايبينغ" التي أسّسها تشانغ جياو[22].

وقد شهدت التّاويّة الشّعبيّة انتشارًا لها بين الصّينيين في القرن الثاني الميلاديّ عن طريق حركة السّلم الكبير "تاويّة تايبينغ"، وقد كان للمعلّمين السّماويين دور كبير في انتشارها[23].

وفي القرن الثالث الميلاديّ اعتنق (شانغ طاولينغ) السّلطة السّماويّة" تيانشي"، فحلّ اسم "تاويّة تيانشي" محل اسم" تاويّة وودومي"، وتناقل أجيال سلالته اسم" تيانشي"، الذي حصل على ألقاب وممتلكات من الأباطرة الصّينيين ابتداء من أسرة تانغ (618– 907م) [24].

ويراد باعتناق شانغ طاولينغ السّلطة السّماويّة، زعمه أنّه بتحمّله تبعات إصلاح التّاويّة قد ارتقى وسمّي المعلم السّماويّ، وأنّ سلالته الذين عُرفوا بالمعلّمين السّماويين تابعوا مسيرته، لذا نجد عائلة شانغ الحالية للمعلمين السماويين تدّعي بأنّها من سلالة (شانغ طاولينغ) المعلم السّماويّ الأول الذي ظهر أيام عهد أسرة هان[25] التي حكمت بالفترة (260– 220 ق.م)، وشهدت ظهور أولى الطّوائف التّاويّة، وبداية نشوء عبادة السّيد السّماويّ، ثمّ ظهرت التّاويّة الجديدة في القرنين الثالث والرّابع بعد سقوط أسرة هان[26].

وبعد قرون من الإصلاح أصبح كلّ من التّاويّة الرسميّة

والتّاويّة الشّعبيّة تركّزان في جوهر عقيدتهما على الرّوح الخالدة، فقد حظيت التّاويّة الرسميّة بدعم الأسر الحاكمة في الصّين؛ لأنّها كانت وصلت إلى الأباطرة الذين كانوا يبحثون عن "إكسير الحياة"، أي العنصر الذي يصلون بتناوله إلى الخلود في الدّنيا، بينما كان هناك إقبال كبير لدى العامّة على التّاويّة الشّعبيّة؛ كونها ارتبطت بالسّحر والشّعوذة، مثل تفريج الكرب، وعلاج المرضى[27].

ولئن بلغت التّاويّة ذروة مجدها في عهدي أسرة تانغ (618–907م)، وأسرة سونغ (960–1279م)، بيد أنّ نجمها بدأ يأفل تدريجيًّا في فترتي أسرة مينغ (1368–1644م)، وأسرة تشينغ (1644–1911م)، وأخذ تأثيرها الاجتماعيّ يتلاشى كنظام دينيّ مستقل، فحلّت المعابد البوذيّة محل المعابد التّاويّة المقدّسة[28].

وتمّ تأسيس الجمعيّة الوطنيّة للتّاويّة في معبد الغيوم البيضاء في مقاطعة بيجين في عام 1950م، ولكن الثورة الثّقافيّة التي وقعت في الصّين في عامي 1966–1967م قد دمّرت معابد التّاويّة، وأحرقت كتبهم، وبقي الأمر كذلك حتى عامي 1990–2000م اللذين أُعيد فيهما تأسيس المعابد التّاويّة.[29].

وأُعلن في عام 1958م أنّ ثلاثين ألفًا من الكهنة التّاويين لا يزالون ناشطين في مختلف أرجاء الصّين، وتُعدّ اليابان وتايوان من أهم مراكز التّاويّة، كما توجد فئات تاويّة في بعض نواحي ماليزيا، وسنغافورة، وبانكوك، وبينيانغ[30].

المطلب الثالث: كتابها المقدّس "الطّريق إلى الفضيلة"

يُعدّ الكتاب المقدّس عند التّاويّة هو كتاب (Tao-te-King or ching) "طاوتي كنغ"[31]، أو "التّاو– تي– كينغ أو تشينغ) ويعني "الطّريق إلى الفضيلة" [32]، أو "دستور الطّريق والفضيلة"[33]، أو "الطّريق والغبطة"، أو "الطّريق والفضيلة"، أو "الطّريق وقوّته"، المتضمّن تعاليم هذه الدّيانة، حيث صاغها لاوتسيه في هذا الكتاب الذي صنّفه عندما ترك العمل في المكتبة الإمبراطوريّة، واعتزل وحيدًا في الكهف، مكرّسًا وقته للفكر والتأمّل[34].

ومن الجدير بالذكر أنّ لاوتسيه عندما اعتزل النّاس رفض تدوين الحكمة يأسًا من أحوال النّاس وشرورهم، لعدم جدارتهم بها، فهجر الحياة وانطلق وحيدًا مع حماره، غير أنّ حرّاس المناطق الشّماليّة أجبروه على تدوين كلماته، ثمّ جمعوها، فكانت إحدى وثمانين قطعة، حيث يرجع تاريخها إلى ما قبل 2500 سنة من الآن، وقد أثّرت بعد ذلك في الرّوح الصينيّة، وثقافتها، وتراثها، وأساطيرها[35].

ويشير ميغوليفسكي إلى مكانة هذا الكتاب عند التّاويّة، فيقول: "ويشغل هذا الكتاب في الدّاوسيّة المكانة نفسها التي يشغلها كتاب العهد الجديد في المسيحيّة"[36].

وهو كتاب التّاويّة (الكلاسيكيّ)، وبوصفه كتابًا مقدّسًا كانت له الصّدارة في التّاويّة الدّينيّة[37]، ويتضمّن هذا الكتاب "مجموعة من الحكم، والأقوال المأثورة، ومقاطع من الحكمة القديمة المبهمة والغامضة"[38].

وهذا الكتاب صغير في الحجم، وله في اللغة الإنجليزيّة أكثر من ثلاثين ترجمة [39]، ويتألف من حوالي خمس وعشرين صفحة فيها أفكار سهلة الفهم، وأخرى عسير فهمها، بل من المستحيل فهم أي شيء منها[40].

ووصف جوزيف كاير هذا الكتاب بأنّه: "عبارة عن مجموعة من إحدى وثمانين مقطوعة شعريّة... هي النّصوص المقدّسة للتّاويّة، وهي أقصر الكتب المقدّسة الدّينيّة في العالم، إنّه كتاب قصير ولكنّه محيّر؛ لاحتوائه على عدد كبير من الآراء الغامضة المتناقضة في ظواهرها التي تعز على التّوضيح والتّبيان"[41].

وبالرّغم من الشّروح والتّفاسير الخاصّة بهذا الكتاب، إلا أنه "لم يصبح أكثر وضوحًا، بل بقيتّ الآراء الغامضة غامضة، وظلّت المتناقضات مبهمة"[42].

وهكذا نلحظ أنّ التّاويّة تنتسب إلى الحكيم الصّينيّ لاوتسيه الذي وضع أسسها، وشرع يدعو أهل الصّين إليها، وينشر تعاليمها بينهم.

يقول كامل سعفان في هذا النّطاق: "إنّ أهل الصّين لا يدينون لرسل وأنبياء، بل يكتفون بالمربين والحكماء؛ ذلك لأنّهم أقاموا على أرض الواقع يعالجون همومهم بإمكانيّاتهم المحدودة، ومن ثمّ كان الاهتمام بالإنسان... علاقته بالإنسان، وعلاقته بالكون الماديّ، مع اهتمام قليل بالأصول الكونيّة"[43].

ونلحظ أنّ كلام كامل سعفان يتعارض مع قوله تعالى: "وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ" [سورة فاطر، الآية: 24]؛ ذلك أنّ القرآن الكريم لئن لم يذكر أسماء رسل وأنبياء أرسلهم الله تعالى إلى أمّة الصّين، وغيرها من الأمم الأخرى، غير أنّ ذلك لا يعني أنّ الله تعالى لم يبعث إلى هذه الأمم رسولاً.

ولعلّ ما أشار إليه سعفان يُقصد منه أنّنا لا نجد إشارات جليّة في ما بين أيدينا من نصوص التّاويّة والكونفوشيّة والبوذيّة وغيرها من الأديان غير السّماويّة على نبوّة مؤسّسيها أو دعاتها.

المطلب الرابع: عقيدتهم في التّاو (الإله)

يمكننا أن نتعرف إلى عقيدة التّاويّة في الألوهيّة من خلال

بيان حقيقة التّاو في التّاويّة، فبالعودة إلى كلمة (تاو) في اللغة الصينيّة، نجد إنّها تدل على معنى الدّرب أو الطّريق أو الصّراط[44]، لكنّ التّاويين استخدموها بعد ذلك للدلالة على المعنى المطلق[45]، أي أنّ المراد به هو الله، ثمّ" اكتسبت في هذه المنظومة الفلسفيّة معنى ميتافيزيقيًّا ودينيًّا أكثر اتّساعًا بكثير، ف (تاو) لا تعني الطّريق فحسب، وإنّما نمط حياة أسلوبًا ومبادىء"[46].

ومن الصّعوبة تحديد معنى التّاو عند لاوتسيه، إذ إنّ معناه غير واضح كما أشار إلى ذلك في كتابه" الطّريق إلى الفضيلة"، وتكمن هذه النّصوص التي تدل على ذلك في:

قوله: "التّاو يبقى إلى الأبد مستحيل التّعريف"[47]، وقوله: "ما لا اسم له هو بداية السّماء والأرض، أمّا الذي له اسم، فهو الأمّ لعشرة آلاف شيء"[48]، وقوله: "التّاو وعاء فارغ لا يمتلئ أبدًا، يصبّ فيه ولا يمتلئ أبدًا"[49]، وقوله: "أمّا التّاو، فيبقى إلى الأبد أعلى الأعالي، لا يكاد يعرفه النّاس[50]، وقوله: "التّاو مختبئ ولا اسم له"[51].

ويدلّ قوله بعدم إمكانيّة تسمية التّاو، وكذلك قوله بخلوّه، وعدم امتلائه على أنّه بلا سمات، أو خصائص، أو تقسيمات، أي أنّه عدم[52].

ولئن كان معنى التّاو غامضًا في النّصوص اللاوتسيّة، وأنّه لا يمكن تسميته، وهو كذلك بغير سمات وخصائص، غير أنّنا نجد لاوتسيه قد أطلق صفات على التّاو يمكن بيانها على النّحو الآتي:

أولاً: التّاو هو أصل الكائنات ومرادها

عدّ لاوتسيه التّاو مصدر الكون، فقد أطلق اسم التّاو على "المبدأ الأساس، والقوّة التي تقف وراء كلّ ظواهر الطّبيعة"[53]، فهو عنده "أصل الوجود وحاكمه، شامل لكلّ شيء موجود في كلّ مكان وكلّ زمان، هو بداية كلّ الكائنات، لا وجود للكون أو الكائنات إلا بوجود التّاو"[54].

يقول لاوتسيه في هذا الإطار: "التّاو الذي يمكن أن نخبر عنه ليس هو التّاو الأبديّ، والاسم الذي يمكن أن يسمّى به ليس هو الاسم الأبديّ، ما لا اسم له هو بداية السّماء والأرض، أمّا الذي له اسم، فهو الأمّ لعشرة آلاف شيء"[55]، ويقول أيضًا: "التّاو منبع العشرة آلاف شيء"[56].

ويبدو من خلال النّص أنّ لاوتسيه عندما قال بأنّ التّاو ليس من الممكن تسميته، وهو بغير سمات، لم يهدف إلى أنّه عدم ولا شيء، بل انطلق من ذلك كلّه؛ ليؤكّد أنّ التّاو هو المبدأ الأوّل على نحو مطلق، أي المصدر ذاته لكلّ الأشياء والأسماء والأوصاف، وأنّه السّابق لكلّ الموجودات، يمنحها الوجود والعدم، ويشكّل الواحديّة التي تشكّل أساس كلّ التّنوّع والتّعدّد في العالم[57]،

وتبدو بذلك أهميّة خواء التّاو عنده، وأنّه لولا ذلك الخواء ما تسنّى أن يكون التّاو مبدأ للأشياء، ومصدرًا لكلّ ما في الكون.

يقول جون كولر في هذا السّياق عن التّاو: "وعلى الرّغم من أنّه خاو من أشياء محدّدة، فإنّه الأكثر نفعًا من بين كلّ الأشياء، وكما أنّ الشيء الأكثر نفعًا في الدّار هو خواؤها– الفراغ الموجود فيها– فكذلك الشيء الأكثر نفعًا في التّاو هو خلّوه من الخصائص والسّمات؛ لأنّ هذا يعني أنّ له طاقة لا نهاية لها، وهكذا فإنّ خواء التّاو مرادف لكونه المصدر غير المتناهي لكلّ الأشياء"[58].

وعمد لاوتسيه إلى إثبات أهميّة فراغ التّاو من خلال أمثلة ذكرها على ذلك، فقال في هذا السّياق: "ولكنّ الفراغ الذي في قلب المركز هو الذي يجعلها نافعة، اصنع من الطّين إبريقًا، الفراغ الذي بداخله هو الذي يجعله صالحًا للشّرب فيه، افتح للغرفة أبوابًا وشبابيك، يبقى فراغها مصدر نفعها"[59].

كما يرى أنّ كلّ ما في هذا الكون يتبع التّاو، فهو مدبّره ومسيّره، فنجده يقول: "الإنسان يتبع الأرض، والأرض تتبع السّماء، والسّماء تتبع التّاو، أمّا التّاو فيتبع ما هو طبيعيّ"[60].

وأكّد أنّ الكائنات كلّها بحاجة إلى تدبير التّاو، والاعتماد عليه في أمورها، فقال: "العشرة آلاف شيء تعتمد على التّاو، هو لا يمنع عنها شيئًا، هو يحقّق هدفه في صمت، ولا يطلب شيئًا"[61]، وقال: "سوف يلجأ إليه النّاس جميعًا"[62]. فللتّاو قوة تقدر على الخلق والفعل، فهو "لا يترك شيئًا غير منجز"[63].

وأشار (هوا نان تزو)، وهو أحد أتباع التّاويّة إلى أنّ التّاو هو خالق الكون، والمتصرّف بشؤونه، والمهيمن على نظامه، وذلك من خلال إجابته عن سؤال: ما هو تاو؟ فقال: "إنّه الذي يدعم السّماوات، ويغطي الأرض، وليس له حدود أو قيود، لا يمكن قياس علّوه، ولا سبر غوره، وهو يمسك الكون في قبضته، ويعطي شكلاً مرئيًّا لكلّ مَن لا شكل له، إنّه من الرّهافة والرّقة حيث يتخلّل كلّ شيء كما يتخلّل الماء المنجم، وبأمره تكون الجبال عالية، والهاويات سحيقة، والحيوانات تمشي، والطّيور تطير، والشّمس والقمر مشرقين، والنّجوم تدور بأفلاكها، هو الذي يجعل الرّياح تهبّ، وتنزل الأمطار العذبة، وتحيا وتكبر كلّ الكائنات، وتحضن وتفقس ذوات الرّيش، وتحمل وتلد ذوات الفرو، وتكتسي النّباتات والأشجار بأوراقها وحلّتها البهيّة، وتضع الطّيور بيوضها، وتلد الحيوانات صغارها... ويعطي شكلاً للأشياء من اللاشكل، ويخترق وينفذ في كلّ شيء، ولا يعمل عبثًا"[64].

ولعلّ هذا النّص من النّصوص التي تأثرت بتعاليم أصلها سماويّة، إلا أنّ عموم النّصوص المتصلة بموضوع الألوهيّة في

التّاويّة، وبالأخصّ في كتابها المقدّس بقيت غير منسجمة مع الصورة التي جاء بها التّوحيد في الدّيانات السّماويّة.

ثانيًا: التّاو عظيم

يصف التّاو بأنّه عظيم، ولو كان هناك وصف يفوقه لوصفه به، ولكنّه يرى أنّ هذا الوصف لا يوجد فوقه وصف، فيقول:" ربّما يكون هو أمّ العشرة آلاف شيء، أنا لا أعرف له اسمًا، فلنسمه التّاو؛ ولأنّنا لا نملك كلمات أفضل، فإنّي أطلق عليه وصف عظيم؛ ولأنّه عظيم، فهو يسبح، يسبح بعيدًا جدًا، وعندما يصبح في كلّ الأبعاد، فإنّه يرجع من جديد، لذلك التّاو عظيم"[65].

ويقول لاوتسيه في نصّ آخر عن عظمة التّاو: "إنّه عظيم جدًا، هو لا يظهر العظمة، لذلك فهو عظيم حقًّا، سوف يلجأ إليه النّاس جميعًا"[66].

ولمّا كان التّاو عند لاوتسيه هو أصل الوجود ومدبّره، فقد عدّه جديرًا بالعبادة والاحترام، والتّكريم، فقال: "كلّ شيء ينبع من التّاو، ويتغذّى بالفضيلة، ويتشكّل من المادّة، ويتحدّد بالبيئة المحيطة، لذلك فإنّ العشرة آلاف شيء تحترم التّاو، وتكرّم الفضيلة، احترام التّاو وتكريم الفضيلة ليس مفروضًا على أحد، ولكنّه متضمّن في طبيعة الأشياء، لذلك كلّ الأشياء تنبع من التّاو"[67].

كما يرى أنّ التّاو قد استحقّ من النّاس هذه المحبة، وذلك التّعظيم؛ لأنّه أوجدهم، ومدّهم بكلّ ما يحتاجون إليه، فقال في هذا السّياق: "لماذا يحبّ النّاس التّاو للوهلة الأولى؟ أليس ذلك؛ لأنّك واجد عنده دائمًا ما تبحث عنه، وعنده دائمًا تغتفر خطيئتك، لذلك فإنّ التّاو أعظم كنوز الأرض"[68].

وانطلاقًا من ذلك فإنّ لاوتسيه ذهب إلى أنّ الإنسان يقرّ بأنّ التّاو عظيم، وأنّه يتفرّد بهذه الصّفة عن سائر المخلوقات، فقال: "كلّ إنسان تحت هذه السّماء يقول: التّاو الذي اعتنقه عظيم، هو فريد، لا يقارن؛ ولأنّه عظيم فهو مختلف، وإن لم يكن مختلفًا لتلاشى منذ زمن بعيد"[69].

ثالثًا: التّاو واحد

وصف لاوتسيه التّاو بأنّه واحد، فقال عنه: "إنّه عظيم جدًا، هو لا يظهر العظمة، لذلك فهو عظيم حقًّا، سوف يلجأ إليه النّاس جميعًا، ذلك الذي يلزم الواحد، عنده يجد الجميع السّعادة والسّلام"[70].

وكان يرى أنّ وحدانيّة التّاو تعني عدم انقسامه أو تجزّئه؛ لأنّه يلزم من ذلك الاحتياج، وتستلزم هذه المعرفة من المرء القول بأنّ التّاو واحد، فقال: "عندما ينقسم الواحد، فإنّ الأجزاء تكون محتاجة إلى أسماء، وفي الدّنيا ما يكفي من أسماء، وعلى المرء أن يعرف حتى يتوقّف، بهذا يتجنّب الإنسان المتاعب"[71].

ويشير هذا النصّ إلى أنّ الأسماء إنّما وُضعت للدلالة على مسمياتها، وأنّ تعدّد الأسماء لا يعني تعدّد المسمّى، وإنّما هي أسماء لمدلولات ومعاني تعود إلى ذات الواحد.

رابعًا: تنزيه التّاو

عمد لاوتسيه إلى تنزيه التّاو عن المكان والزمان والجهة، فهو غير منحصر بزمان، ولا محدود بمكان، فلا " جسميّة تحدّه، ولا مكانيّة تقيّده...، لا يحدّه الزمان، ولا يطويه المكان"[72]. فنجده يقول عن التّاو: "ولأنّه عظيم، فهو يسبح، يسبح بعيدًا جدًا، وعندما يصبح في كلّ الأبعاد، فإنّه يرجع من جديد، لذلك التّاو عظيم"[73].

ونقل صادق الرّكابيّ عن أحد أتباع التّاويّة ويُدعى (هوا نان تزو) قوله في تنزيه التّاو: "وليس له حدود أو قيود، لا يمكن قياس علّوه، ولا سبر غوره...، لا يراه أحد يعمل، مع ذلك يكتمل العمل"[74].

كما ذهب لاوتسيه في إطار تنزيهه التّاو إلى أنّه لا يمكن تصوّره في الذهن، ولا يمكن إدراكه بالحواس، فقال: "التّاو مراوغ لا يمسكه الحسّ"[75]، وأشار في نصّ آخر إلى أنّه "لا يمكن إدراكه"[76].

ولئن كان التّاو غير مدرَك بالحواس، إلا أنّه معلوم؛ لكونه على صلة دائمة مع الطّبيعة؛ فهو يتبع دائمًا كلّ ما فيها، فيقول لاوتسيه: "الإنسان يتبع الأرض، والأرض تتبع السّماء، والسّماء تتبع التّاو، أمّا التّاو فيتبع ما هو طبيعيّ"[77].

ويلوح من هذا النّص وصف التّاو بما يقرب من معنى السنن الكونيّة، والنّواميس الإلهيّة، والقوانين الماديّة، حيث خلقها الله تعالى، وأودعها في هذا الكون، وحثّ الإنسان على الإفادة منها، واستغلالها، وذلك من خلال الأخذ بالأسباب والمقدّمات المبثوثة في الكون سننًا ونواميس، ثمّ الاعتماد على خالق هذه الأسباب ومسبّبها.

وعدّ لاوتسيه هذه الصلة التّاوية بالطّبيعة ثبوتًا لصورة التّاو الحقيقيّة في النّفس التي آمنت بذلك، فقال: "آه، كم هو مراوغ، لا تطوله اليد، ولكن له في الدّاخل صورة، كم هو باهت ومظلم، ولكنّه في الدّاخل هو ماهيّة، والماهيّة واقعيّة جدًا، وفيه يكمن الإيمان"[78].

خامسًا: التاو أبدي

ذهب لاوتسيه إلى القول بعدم فناء التّاو، وأنّه أبديّ، فقال: "أمّا التّاو، فإنّه يبقى إلى الأبد، أعلى الأعالي، لا يكاد يعرفه النّاس"[79]، كما وصف التّاو بأنّه "الحياة المديدة، والرؤية الأبديّة"[80].

ولمّا كان التّاو خالدًا دائمًا، كانت تعاليمه كذلك دائمة،

يقول لاوتسيه: "أمّا تعاليم التّاو، فتبدو وكأنّ ليس لها كيان أو مذاق، فهي لا يمكن رؤيتها أو سماعها، ومع ذلك فهي لا تستنفذ ولا تستهلك[81].

سادسًا: معرفة النّاس للتّاو

يشير إلى أنّ معرفة النّاس التّاو منذ القدم، وأنّ جميع المخلوقات تعرفه، فقال: "من البدء حتى الآن لم ينس اسمه أبدًا"[82].

سابعًا: حلول التّاو في جميع الموجودات

بنى لاوتسيه على رأيه القائل بأنّ التّاو هو أصل الموجودات وخالقها ومرادها، وأنّه لا وجود لها إلاّ بوجوده، في ما ذهب إليه من وحدة الخالق والمخلوق، حيث كان يرى أنّهما "شيء واحد، فلا وجود لأحدهما منفصلاً عن الآخر، بل هما يكوّنان شيئًا واحدًا لا تنفصل أجزاؤه، وإلاّ لافى الفناء"[83].

وهذا ما يُعرف بعقيدة وحدة الوجود، وتعني "أنّ الله هو الموجود الحقيقيّ المطلق، وكلّ ما سواه من الموجودات ما هي إلا ظلال له، وفيوضات منه، وتجليّات عنه، أو أنّ الموجودات عبارة عن ظواهر وتجليّات لصفاته وأسمائه تعالى"[84].

كما أنّ اتّباع التّاو لا يتمّ إلا من خلال الاتحاد بالتّاو، فيقول لاوتسيه: "مَن يتبع التّاو، يصير هو والتّاو واحدًا، مَن هو فاضل، يعرف الفضيلة، مَن يضل الطّريق يعيش الضّياع، التّاو يحتفي بك، عندما تتوحّد مع الفضيلة، تكون الفضيلة دائمًا معك"[85].

كما أكّد أنّه لا يتمّ تجنّب الفناء إلاّ من خلال وحدة الوجود، وذلك بأن "تكون واحدًا مع التّاو يعني الخلود، بذلك يفنى الجسد"[86] ، فقال: "هذه هي الفضيلة الأولى، بداية الكون، هي أمّ كلّ الأشياء، معرفة الأمّ تعني معرفة الأبناء، ومعرفة الأبناء دون الانفصال عن الأمّ يجلب التحرّر من خشية الموت"[87].

ولمّا كان التّاو في نظره متحدًا مع الحوادث؛ أي أنّها لا توجد إلاّ بوجود التّاو، وأنّه لولا تلك الوحدة انتهى الكون إلى فناء، هذه النّظرة دفعت لاوتسيه إلى القول بأنّ التّاو لا يفعل فعله في الموجودات إلا من خلال حلوله فيها، فهو يرى أنّ "الخالق حال في كلّ الموجودات، وهي إذ تتحرّك وتتشكّل وتتلوّن إنّما ترجع كلّ ظواهرها هذه إلى حلول الخالق فيها، كما أنّ الخالق لا يستطيع أن يتصرّف أو يعمل إلاّ بحلوله في الأشياء"[88].

وعبّر عن رأيه هذا بقوله: "وحده التّاو هو الذي يغذي كلّ الأشياء، ويصل بها إلى كمال التحقّق، الواحد ولد عن التّاو، الإثنان ولدت عن الواحد، عن الإثنين ولدت الثلاثة، وعن الثلاثة توالدت العشرة آلاف شيء، والعشرة آلاف شيء تحمل (اليِنّ)، وتعانق (اليانج)، تناغم وجود العشرة آلاف يتحقّق من الدّمج بين هاتين القوتين"[89].

وفي نصّ آخر يقول: "كلّ شيء ينبع من التّاو، ويتغذّى بالفضيلة، ويتشكّل من المادّة، ويتحدّد بالبيئة المحيطة، لذلك فإنّ العشرة آلاف شيء تحترم التّاو، وتكرّم الفضيلة، احترام التّاو وتكريم الفضيلة ليس مفروضًا على أحد، ولكنّه متضمّن في طبيعة الأشياء، لذلك كلّ الأشياء تنبع من التّاو"[90].

وانطلاقًا من هذه النّصوص، فإنّ لاوتسيه يرى أنّ التّاو ولئن كان أوحد في نوعه، بيد أنّه ليس وحيدًا واحدًا في الكون اللامتناهي، حيث بدأ به انتشار العالم، فأحدث في بدأ الزمان الحدود في الفراغ، ثمّ أحدثت هذه الحدود الفراغيّة الزمان والمكان، ثمّ أحدث الزمان والمكان الأثير البدئي، حيث انقسم فيما بعد إلى عنصرين كونيين هما: اليانغ واليِن اللذان أنجبا السّماء والأرض والإنسان، وبعدئذ أنجب هؤلاء الثلاثة حشد الأشياء، والكائنات[91].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ (اليِن واليانغ) يرمز إليهما في التّاويّة بهذا الرّمز ☯ ، بالإضافة إلى أنّه يمثّل شعارًا للتّاويّة، حيث يرمز إلى قوتي اليِن واليانغ.

ويمثّل "اليِن" الأنوثة، والإذعان، والتقبّل، والقمر، والغيوم، والماء، والأرقام الزوجيّة، بينما يمثّل "اليانغ" الذكورة، والصّلابة، والنّشاط، واللون الأحمر، والشّمس، والأرقام الفرديّة، والقوّتان في حركة مستمرّة، وعندما تبلغ إحداهما ذروتها حتى تأخذ بالانحسار، وتأخذ الأخرى بالاتّساع[92].

إذًا، فالتّاو هو نظام الكون الذي تصدر عنه كلّ الموجودات، والوحدة أعلى مستوى من الكثرة، وباتحاد "اليانغ" المبدأ المذكّر وهو السّماء، و"اليِنّ" المبدأ المؤنّث وهو الأرض نشأ العالَم، ووُجد الكون، وأنّ هذه الموجودات ما هي إلا مظاهر فقط[93].

ووفقًا للاوتسيه، فإنّ التّاو هو "الطّريق الوحيدة التي يتحد الإنسان بواسطتها مع الإله، أمّا التّاو فلا يتحقّق إلا بالإحجام عن كلّ ما لا لزوم له، عن ما هو جسديّ"[94].

المطلب الخامس: موقف الإسلام من التّاو

يثبت الإسلام لله تعالى أسماء حسنى وصفات فضلى، لقوله تعالى: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ" [الشورى، الآية: 11]، كما أنّه ينزّه الله تعالى عن كلّ ما لا يليق من صفات النّقص، وعن الوالد، والولد، والزّوجة، والشّبيه، والمثيل، والنّظير، وهذا ما يُعرف بتوحيد الله تعالى في أسمائه وصفاته.

فالإسلام يقرّر إثبات الوحدانيّة لله تعالى، فيؤمن المسلم بأنّ الله واحد لا شريك له، فقد أرسل الله تعالى جميع الأنبياء والرّسل عليهم السّلام لدعوة النّاس إلى عبادة الله الواحد، لقوله

تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ" [الأنبياء: الآية 25].

وقد أثبت القرآن الكريم التّوحيد بأدلة كثيرة؛ منها: قوله تعالى: "وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" [البقرة: الآية 163]، وقوله تعالى: "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ" [الأنبياء: الآية 22]، وقوله تعالى: "مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ {91} عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" [المؤمنون: الآيتان 91- 92].

ولئن اعتقدت التّاويّة بوجود الإله، وأطلقوا عليه اسم التّاو، وقالوا بأنّه خالق الكائنات والمتصرّف بشؤونها، ووصفوه بأنّه واحد غير منقسم، ولا يحدّه زمان ولا مكان، ولا يمكن إدراكه بالحواس، وأنّه لا يفنى، غير أنّهم ذهبوا إلى الاعتقاد بوحدة الخالق والمخلوق، وأنّهما شيء واحد، ولا يمكن للتّاو التصرّف فيه إلا من خلال حلوله فيه.

وهو أساس الكون، وأصل جميع المخلوقات الذي تصدر عنه، وأنّ كلّ ما في العالَم ينشأ من اتحاد الين واليانج، وما تنتج عن هذه الثنائيّة من حوادث ليست إلا مظاهر لها.

وإنّ القول بوحدة الوجود، وما يندرج تحتها من مصطلحي الحلول والاتحاد مخالف للعقيدة الإسلاميّة، حيث يوجد معنيان للحلول "الحلول الجواريّ: عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفا للآخر كحلول الماء في الكوز. والحلول السّريانيّ: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمّى الساري حالا، والمسري فيه محلا"[95].

وأمّا مصطلح الاتحاد، فهو عبارة عن "امتزاج الشّيئين واختلاطهما، حتى يصيرا شيئًا واحدًا لاتصال نهايات الاتحاد"[96].

ولا بدّ من التّفريق بين آيات الله تعالى الكونيّة الدّالة عليه، وبين ذاته جلّ جلاله، فكما قال الشّاعر:

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد

فيجب تنزيه الذات الإلهيّة عن ما يليق بالمخلوقات التي تعيش ضمن الزمان والمكان، فالله تعالى هو خالق الزمان والمكان، وهو غنيّ عنهما[97].

وقد بيّن ابن تيمية ذلك التّفريق في ردّه على القائلين بوحدة الوجود، حيث إنّهم "لم يعرفوا مباينة الله سبحانه للمخلوقات، وعلوه عليها، وعلموا أنّه موجود، فظنّوا أنّ وجوده لا يخرج عن وجودها، بمنزلة مَن رأى شعاع الشّمس، فظنّ أنّه الشّمس نفسها"[98].

الخاتمة

توصّلت الدراسة إلى جملة من النتائج تتمثّل أهمّها في النّقاط الآتيّة:

1. تعدّ التّاويّة دينًا وضعيًّا غير سماويّ، وأنّها لا تنتسب إلى نبيّ ولا إلى رسول، وإنّما تنتسب إلى مؤسّسها الفيلسوف الصّينيّ لاوتسيه، فهو الأب الروحيّ لها.
2. اسم الكتاب المقدّس عند التّاويّة هو "الطّريق إلى الفضيلة"، وهو كتاب ليس سماويًّا، بل هو مجموعة من الحكم والعبارات المأثورة، والتّعاليم اللاوتسيّة المتعلّقة بالإله والإنسان والحياة.
3. لا تخلو بعض نصوص الدّيانة التّاويّة من إشارات قد يُلمح فيها توافقًا مع التّصوّر الإسلاميّ للألوهيّة في تنزيه الخالق عن صفات المخلوقات، وهي: أنّه أصل الكائنات ومرادها، وهو كذلك عظيم، وواحد، وغير محدود بالزّمان ولا المكان، وأنّ الحواس لا تدركه، وهو أبديّ.
4. ذهب لاوتسيه إلى الاعتقاد بوحدة الوجود، وأنّ التّاو لا يكون إلاّ متحدًّا مع المخلوقات، وأنّها لا توجد إلاّ بوجوده، وأنّه ولا يفعل فعله فيها إلاّ من خلال حلوله فيها، ولولا تلك الوحدة انتهى العالَم بكلّ ما فيه إلى فناء.
5. لئن ذهبت التّاويّة إلى القول بوحدة الوجود، إلا أنّ ذلك لا ينفي الاعتقاد بوجود إله خالق.
6. يقرّر الإسلام أنّ الله تعالى وحده هو المتفرّد بالخلق والمُلك، والمتصرّف في الكون، والمهيمن عليه، والمدبّر شؤونه، وهو المتّصف بصفات الكمال، المنزّه عن صفات النّقص، وعليه فإنّه لا يصح اعتقاد التّاويين في الله تعالى، ولا يوافق العقيدة الإسلاميّة في الإيمان بالله تعالى كما أخبر عنه الله تعالى، ورسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم.

الهوامش

(1) انظر: (جي، 2004م)، الأديان في الصّين، ص ص5-6.
(2) انظر: (الرّكابيّ، 2007م)، لمحات عن أديان العالم، ص320.
(3) انظر: (ميغولفسكيّ، 2005م)، أسرار الآلهة والدّيانات، ص304.
(4) انظر: (الرّكابيّ، 2007م)، لمحات عن أديان العالم،

ص320.

(5) انظر: (بارندر، 1996م)، المعتقدات الدّينيّة لدى الشّعوب، ص336.

(6) انظر: (سعفان، 1999م)، معتقدات أسيويّة، ص288.

(7) انظر: (ميغولفسكيّ، 2005م)، أسرار الآلهة والدّيانات، ص304.

(8) انظر: (مراد، 2000م)، المدخل في تاريخ الأديان، ص203.

(9) انظر: (ميغولفسكيّ، 2005م)، أسرار الآلهة والدّيانات، ص305.

(10) المرجع ذاته، ص305.

(11) انظر: (سعفان، 1999م)، معتقدات أسيويّة، ص288.

(12) (مظهر، 1995م)، قصّة الدّيانات، ص228.

(13) انظر: المرجع ذاته، ص228.

(14) المرجع ذاته، ص ص 228- 229.

(15) (حميد، 1999م)، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، ص248.

(16) المرجع ذاته، ص248.

(17) انظر: (لاوتسيه، 1998م)، مقدمة ترجمة كتاب الطّريق إلى الفضيلة، ص4.

(18) انظر: (الرّكابيّ، 2007م)، لمحات عن أديان العالم، ص ص 322، 323.

(19) المرجع ذاته، ص322.

(20) (مظهر، 1995م)، قصّة الدّيانات ، ص229.

(21) انظر: (الأمين، 1991م)، دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة، ص446.

(22) انظر: (جي، 2004م)، الأديان في الصّين، ص80.

(23) انظر: (الأمين، 1991م)، دراسات في الفرق والمذاهب القديمة، ص446.

(24) انظر: (جي، 2004م)، الأديان في الصّين، ص80.

(25) انظر: (الأمين، 1991م)، دراسات في الفرق والمذاهب القديمة، ص ص446- 447.

(26) انظر: (الرّكابيّ، 2007م)، لمحات عن أديان العالم، ص320. (الأمين، 1991م)، دراسات في الفرق والمذاهب القديمة، ص ص446- 447.

(27) انظر: (جي، 2004م)، الأديان في الصّين، ص82.

(28) انظر: المرجع ذاته، ص ص82، 83.

(29) انظر: (الرّكابيّ، 2007م)، لمحات عن أديان العالم، ص324.

(30) انظر: (الأمين، 1991م)، دراسات في الفرق والمذاهب القديمة، ص ص450-451.

(31) انظر: (الحينيّ، 1971م)، في العقائد والأديان: الديانات الكبرى المعاصرة، ص193.

(32) انظر: (مراد، 2000م)، المدخل في تاريخ الأديان، ص203.

(33) انظر: (كريل، 1971م)، الفكر الصّينيّ من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج، ص145.

(34) انظر: (ميغولفسكيّ، 2005م)، أسرار الآلهة والدّيانات، ص305.

(35) انظر: (لاوتسيه، 1998م)، مقدمة ترجمة كتاب الطّريق إلى الفضيلة، ص4.

(36) (ميغولفسكيّ، 2005م)، أسرار الآلهة والدّيانات، ص305.

(37) انظر: (بارندر، 1996م)، المعتقدات الدّينيّة لدى الشّعوب، ص336.

(38) (توكاريف، 1998م)، الأديان في تاريخ شعوب العالم، ص267.

(39) انظر: (الحينيّ، 1971م)، في العقائد والأديان: الديانات الكبرى المعاصرة، ص192. و(بارندر، 1996م)، المعتقدات الدّينيّة لدى الشّعوب، ص336.

(40) انظر: (مظهر، 1995م)، قصّة الدّيانات، ص ص231، 232.

(41) (كاير، 1664م)، حكمة الأديان الحيّة، ص245. وانظر في هذا السّياق أيضًا: (بارندر، 1996م)، المعتقدات الدّينيّة لدى الشّعوب، ص336. (كريل، 1971م)، الفكر الصّينيّ من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج ، ص145.

(42) (كاير، 1664م)، حكمة الأديان الحيّة، ص245.

(43) (سعفان، 1999م)، معتقدات أسيويّة، ص251.

(44) انظر: (كولر، 1995م)، الفكر الشّرقيّ القديم، ص376. (الرّكابيّ، 2007م)، لمحات عن أديان العالم، ص325.

(45) انظر: (كريل، 1971م)، الفكر الصّينيّ من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج، ص150.

(46) (توكاريف، 1998م)، الأديان في تاريخ شعوب العالم، ص267.

(47) (لاوتسيه، 1998م)، الطّريق إلى الفضيلة، ص39.

(48) المصدر ذاته، ص9.

(49) المصدر ذاته، ص12.

(50) المصدر ذاته، ص22.

(51) المصدر ذاته، ص48.

(52) انظر: (كولر، 1995م)، الفكر الشّرقيّ القديم، ص379. و(سعفان، 1999م)، معتقدات أسيويّة، ص294.

(53) انظر: (الرّكابيّ، 2007م)، لمحات عن أديان العالم، ص323.

(54) (جي، 2004م)، الأديان في الصّين، ص83. وانظر: (كولر، 1995م)، الفكر الشّرقيّ القديم، ص376.

(55) (لاوتسيه، 1998م)، الطّريق إلى الفضيلة، ص9.

(56) المصدر ذاته، ص69.

(57) انظر: (كولر، 1995م)، الفكر الشّرقيّ القديم، ص ص379، 380.

(58) المرجع ذاته، 382.

(59) (لاوتسيه، 1998م)، الطّريق إلى الفضيلة، ص ص16-

17.
(60) المصدر ذاته، ص30.
(61) المصدر ذاته، ص40.
(62) المصدر ذاته، ص41.
(63) المصدر ذاته، ص41.
(64) نقلاً عن: (الرّكابيّ، 2007م)، لمحات عن أديان العالم، ص325.
(65) (لاوتسيه، 1998م)، الطّريق إلى الفضيلة، ص31.
(66) المصدر ذاته، ص41.
(67) (لاوتسيه، 1998م)، الطّريق إلى الفضيلة، ص57.
(68) المصدر ذاته، ص70.
(69) المصدر ذاته، ص76.
(70) المصدر ذاته، ص41.
(71) المصدر ذاته، ص39.
(72) (السّقاف، 2004م)، الدّين في الهند والصّين وإيران، ص123.
(73) (لاوتسيه، 1998م)، الطّريق إلى الفضيلة، ص31.
(74) (الرّكابيّ، 2007م)، لمحات عن أديان العالم، ص325.
(75) (لاوتسيه، 1998م)، الطّريق إلى الفضيلة، ص26.
(76) المصدر ذاته، ص39.
(77) المصدر ذاته، ص30.
(78) المصدر ذاته، ص27.
(79) المصدر ذاته، ص22.
(80) المصدر ذاته، ص67.
(81) المصدر ذاته، ص41.
(82) المصدر ذاته، ص27.
(83) (يحيى، 2002م)، الإسلام والمعتقدات الدّينيّة القديمة، ص131.
(84) (الجبوري، 1409هـ)، فلسفة وحدة الوجود، ص39.
(85) (لاوتسيه، 1998م)، الطّريق إلى الفضيلة، ص29.
(86) المصدر ذاته، ص22.
(87) المصدر ذاته، ص58.
(88) (يحيى، 2002م)، الإسلام والمعتقدات الدّينيّة القديمة، ص131. وانظر: (الأمين، 1991م)، دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة، ص448.
(89) (لاوتسيه، 1998م)، الطّريق إلى الفضيلة، ص49.
(90) المصدر ذاته، ص57.
(91) انظر: (ميغولفسكيّ، 2005م)، أسرار الآلهة والدّيانات، ص310.
(92) انظر: (الرّكابيّ، 2007م)، لمحات عن أديان العالم، ص331.
(93) انظر: (شالي، 1994م)، موجز تاريخ الأديان، ص246.
(94) (ميغولفسكيّ، 2005م)، أسرار الآلهة والدّيانات، ص322.
(95) (الجرجانيّ، 1405هـ)، التّعريفات، ص125.
(96) المصدر ذاته، ص22.
(97) (العموش، 2003م)، طائفة السّيخ وموقف الإسلام منها، ص153.
(98) (ابن تيمية، 1992م)، مجموعة الرّسائل والمسائل، ص69.

المصادر والمراجع

ابن تيمية، أ. (1992م) مجموعة الرّسائل والمسائل، صحّحه وخرّج أحاديثه وعلق عليه محمد رشيد رضا، ط1 مصر: مطبعة المنار.

الأمين، ع. (1991م)، دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة، ط2 بيروت: دار الحقيقة.

بارندر، ج. (1969م)، المعتقدات الدّينيّة لدى الشّعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ط2 القاهرة: مكتبة مدبولي.

توكاريف، س. (1998م)، الأديان في تاريخ شعوب العالم، ترجمة أحمد فاضل، ط1 دمشق، سورية: الأهالي.

الجبوري، ن. (1409هـ)، فلسفة وحدة الوجود، ط1 المحرق، البحرين: مكتبة ابن تيمية.

الجرجانيّ، ع. (1405هـ)، التّعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياريّ، ط1 بيروت: دار الكتاب العربيّ.

جي، س. (2004م)، الأديان في الصّين، ترجمة تشنغ بوه رونغ وآخرون، دار النّشر الصّينيّة عبر القارات.

حميد، ف. (1999م)، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، ط2 طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

الحينيّ، م. (1971م)، في العقائد والأديان: الديانات الكبرى المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

الرّكابيّ، ص. (2007م)، لمحات عن أديان العالم، ط1 القاهرة: مكتبة مدبولي.

سعفان، ك. (1999م)، معتقدات أسيويّة، ط1 مدينة نصر: دار النّدى.

السّقاف، أ. (2004م)، الدّين في الهند والصّين وإيران، ط1 بيروت، لبنان: مؤسسة الانتشار العربي.

شالي، ف. (1994م)، موجز تاريخ الأديان، ترجمة حافظ الجمالي، ط2: دار طلاس.

العموش، ب. (2003م)، طائفة السّيخ وموقف الإسلام منها، المجلّد 30، العدد 1، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، الجامعة

الأردنيّة.
كاير، ج. (1964م)، حكمة الأديان الحيّة، ترجمة حسين الكيلانيّ، بيروت: دار مكتبة الحياة.
كريل، (1971م)، الفكر الصّينيّ من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج، ترجمة عبد الحميد سليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
كولر، ج. (1995م)، الفكر الشّرقيّ القديم، ترجمة كامل يوسف حسين، العدد 199، صفر 1416هـ/ يوليو– تموز– سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
لاوتسيه، (1998م)، الطّريق إلى الفضيلة، ترجمة علاء الدّيب، الهيئة المصريّة العامة للكتاب.
مراد، س. (2000م)، المدخل في تاريخ الأديان، ط1: عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة.
مظهر، س. (1995م)، قصّة الدّيانات، القاهرة: مكتبة مدبولي.
يحيى، أ. (2002م)، الإسلام والمعتقدات الدّينيّة القديمة، ط1 القاهرة: الدار العربية للكتاب.

Taoism Religion and its Doctrine in Divinity through its Sacred Book and Islam's Attitude towards it "Critical Study"

Ibrahim "Mohammad Khalid" Burqan *

ABSTRACT

This study investigates the Taoism religion and its doctrine in divinity issues. This is done through its sacred book and the Isalm's attitude towards it. The study introduces the founder of this religion and the sacred book "Road to Virtue".

The study discusses the establishment of this religion in China, ways by which it spreads their doctrine in God, and the Islam's attitude towards that.

The study reached a number of conclusions of which: Taoism disagrees with Islamic doctrine in terms of the unity of creator and creation, therefore, Taoism is not considered a divine religion.

Keywords: Religion, Taoism, God

* Faculty of Sharia, The University of Jordan, Jordan. Received on 17/12/2015 and Accepted for Publication on 2/6/2016.